بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 28 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:08\02\2023 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال البحث في الحديث عن قوله تبارك وتعالى وما يرتبط به ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾.

هل هو ناظر إلى واقعة خارجية بحيث تكون الآية لها هذا الشأن من النزول أم أنها ناظرة إلى حكم كلي لا ربط له بالواقع الخارجي؟ وقلنا الكلام تارة في القرائن الداخلية وأخرى من الروايات، وفي القرائن داخلية قد يتوسل بالتعبير بالفعل المضارع؛ لإثبات أن الآية ناظرة ابتداء إلى قانون كلي على نهج القضية الحقيقية.

هذا الوجه في غاية الضعف، لو أردنا أن نلتزم بأن الفعل المضارع هنا فقط للاستقبال، لابد أن نلتزم بأن الفعل الماضي الوارد في هذه الآيات للزمن الماضي، فيكون الفعل قد صدر من الإنسان في المستقبل ويثاب عليه في الماضي؛ فالآيات ذكرت أفعال مضارعة، ولكن في مقام المجازات قالوا تبارك وتعالى: ﴿فَوَقاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (11) وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾[1] فالتعبير بوقاهم ولقّاهم وجزاهم كلها بالفعل الماضي.

إذا أردنا أن نقف على المعنى الحرفي للفعل أن هذا مضارع وذاك ماضي، وأن المضارع يكون للاستقبال، فالفعل الماضي يكون للزمن الماضي، فحينئذ لا يتناسب الآية.

وإنما المقصود من الآية للإشارة إلى أن هذه الأفعال هي سجية لهم من جهة، ومن جهة أخرى لاستحضار هذا الفعل الحسن، فعبر بالفعل المضارع. والتعبير عن المجازات بالفعل الماضي لتعبير عن تحقق هذا الوعد الإلهي.

---

[1] الإنسان: 11- 12

فإن الشيء الذي سوف يحصل في المستقبل يكون غيباً، يمكن أن يقع ويمكن أن لا يقع، ولكنه بما أنه قد صدر من أصدق القائلين فهو متحقق الوقوع، فناسب -وهو كثير في القرآن الكريم إذ يعبر عن الأمر المستقبلي بالفعل الماضي- ذلك، كما في قوله تعالى ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾[2]

فبالنسبة للفعل المضارع، فهذا الفعل وهذا الكرم وهذا التصدق منهم هي سجية وعادة لهم من جهة، ومن جهة أخرى يراد استحضار هذه الصفات الحسنة وهذه الأفعال الجميلة، فعبر عنها بالفعل المضارع.

فإذاً هذا لا يصلح قرينة على ما ذكر.

بل عندنا قرينة معاكسة، إذ لا شك أن الإيفاء بالنذر والإطعام من الأمور المرغوب فيها شرعاً وعقلاً، فلو كانت القضية قضية حقيقية، وليست ناظرة إلى الواقع الخارجي، وإنما هي في مقام الحث على الإطعام، فلا حاجة حينئذ أن يذكر المطعم؛ لأن الإطعام حسن على كل حال، تطعم من هو أهل لأن يطعم سواء كان يتيم أو مسكين أو أسير أو ابن سبيل أو من المؤمنين أو إلخ.

لو كانت القضية مجرد قضية حقيقية تريد أن تقنن حسن الإطعام لما ذكر له متعلق، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى﴾[3] فلم يذكر متعلق الشيء المعطى، ولا من أعطي له، العطاء بنفسه حسن ممدوح، فلا حاجة إلى ذكر المتعلق. وكذلك الحال في بعض الروايات عندما تحث على الإطعام تعبر بما يقرب من تعبير الآية الشريفة، كما في المروي عن النبي صلى الله عليه وآله: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ وَيُفْشُونَ السَّلَامَ)[4] ولم تقل ويطعمون الطعام للمسكين أو اليتيم أو الأسير، فلما ذكرت الآية أفراداً مخصوصة هم الذين يطعمونهم، فهذا يعني أنها ناظرة إلى واقع خارجي، وإلا ينبغي علينا أن نقول حينئذ إن الأبرار لا يتصفون بكونهم أبراراً إلا إذا أطعموا اليتيم والمسكين والأسير.

أما لو كان إنسان يواظب على إطعام أبناء السبيل، ولو كان إنسان يقف في طريق المشاية إلى المولى أبي عبدالله الحسين ويطعمهم، وهؤلاء ليسوا أيتاماً ولا مساكين ولا أسرى، فهذا لا يصنف في ضمن

---

[2] الزمر: 68
[3] الليل: 5
[4] الكافي (ط - الإسلامية)، ج2، ص: 240

الأبرار؛ لأن الذي يصنف في ضمن الأبرار لابد أن يطعم هؤلاء، هذا لو كانت القضية ناظرة إلى قضية حقيقية.

فلا معنى لأن نذكر المطعَمين إلا إذا كانت الآية المباركة ناظرة إلى واقع خارجي. إذاً عندنا قرينة معاكسة تدل على القول الذي نختاره، وأن هذه الآية الشريفة ناظرة إلى واقع خارجي، حينئذ بلحاظ نظرها إلى واقع خارجي المورد لا يخصص الوارد، فمطلق الإطعام بشرطين مع الحاجة إليه وأن يكون لوجه الله، حينئذ يدخل صاحبه في مصاف الأبرار.

لكن باعتبار أن الآية تريد أن تبين هذا القانون الإلهي من خلال واقعة، ومن خلال تقديم النموذج، حينئذ ذكرت المطعَمون. ولا يوجد تبرير آخر لذكر هؤلاء الثلاثة إلا هذا.

وهذا يكون أقوى في الدخول في النفس، ففرق بين أن نقنن قانوناً ونكتفي بإصدار الأوامر والقوانين، وبين أن يعلمنا ربّ العباد على أن هذه القوانين قابلة للتطبيق من خلال نماذج.

وهذا هو فلسفة وجود الأسوة والقدوة، أنه ليس فقط نتكلم وننظر في عالم الأفلاطوني ومثل عليا، ولا ننظر إلى قابليتها للتطبيق أو عدم قابليتها للتطبيق. فقدم لنا الباري تبارك وتعالى نماذج حية جسدت هذا الدين، وليس مجرد مثل يحلم الإنسان بأن يصل إليها.

وهذه أحد الأبعاد الأساسية التي ربما قد نغفل عنها في الولاية والنبوة والإمامة؛ لأن الإمامة لها أبعاد متعددة، منها البعد التكويني والبعد التشريعي وبعد القدوة والأسوة، وأن هذا الدين ليس مجرد مثل وقيم مجردة، وإنما هي مثل وقيم قابلة للتجسيد في عالم الخارج. فقبل أن أدعوكم لأن تطعموا وتكرموا مع حاجتكم إيثاراً ولوجه تبارك وتعالى، انظروا إلى تلك الثلة التي قامت بهذا العمل، فأطعمت اليتيم والمسكين والأسير.

فإذاً ذكر المطعَم في هذه الآية شاهد قوي على أن الآية لها شأن نزول ناظرة إليه.

الفخر الرازي كعادته في كثير من المباحث المرتبطة بأهل البيت عليهم السلام يقوم بالتشكيك، ويستفاد من كلامه شبهتان تترتبان على الالتزام بأن هذه الآية المباركة والآيات المرتبطة بها نازلة في حق أهل البيت عليهم السلام نذكرهما في الجلسة القادمة.